جائزة عيسى لخدمة الإنسانية
ISA AWARD FOR SERVICE TO HUMANITY

الدكتور أشيوتا سامنتا

الإبداع التخصصي في الخدمة الإنسانية

يونيو 2015
ص.ب: 55550 هاتف: 17366166 (973+)، فاكس: 1769693 (973+)

عندما يتحرر العقل من الخوف ويرتفع الرأس عالياً
عندما تصبح المعرفة مجانية
عندما لا ينقسم العالم إلى حجرات
تحددها الجدران الداخلية
عندما تخرج الكلمات من قلب الحقيقة
ويفتح السعي الدؤوب ذراعيه للكمال
عندما لا يضل نهر المنطق الشفاف طريقه
ناحية رمال الصحراء الجرداء المليئة بالعادات المميتة
عندما تقود أنت العقل قدماً
تجاه أفق الأفكار والأفعال المتسع
تجاه جنة الحرية، يا أبي، فلتصح يا بلادي.

رابيندرانات طاغور (١٨٦١ - ١٩٤١)

لقد ألهمت كلمات الشاعر الهندي رابيندرانات طاغور، الحائز على جائزة نوبل، جيلاً كاملاً مختلفًا من الهنود. فعندما كانت الهند تحت وطأة الاستعمار، كانت تصبو للحرية من الاستعمار الأجنبي. إلا أن هذا لم يكن الهدف الوحيد بل كانت أيضًا تهدف للتحرر من الفقر والجهل والانقسام والضياع وسط رمال الصحراء الجرداء المليئة بالعادات المميتة. وحتى في يومنا هذا، مايزال لتلك الصرخة صدى حيث يحرر الناس أنفسهم من مختلف أشكال العبودية، حيث يقودون عقولهم قدمًا تجاه أفق الأفكار والأفعال المتسع.

إن هذه الصحوة تقع في قلب كل الإصلاحات السياسية والاجتماعية التي حولت البلاد منذ استقلالها عام ١٩٤٧. فقد كان هناك تركيز شديد من صناع القرار في الهند على إحداث إصلاح جذري في التعليم بحيث يمكن العامة من أن يصبحوا مستقلين ومنتجين ومساهمين إيجابيين في الاقتصاد. بصيغة أخرى، كانت تلك النهضة بمثابة الأنموذج لصناعة السياسات المماثلة للهند التي تقع في أحلام طاغور.

إلا أن هذا الإلهام لم يكن قاصراً على هؤلاء في مواقع السلطة، بل امتد ليلهم ملايين الرجال والنساء العاديين ليعملوا بجد أكبر ويفتحوا أذرعة سعيهم الدؤوبة للكمال. فهناك قصص لا حصر لها لأفراد حفروا طريقهم فرادى لمساعدة من هم أقل حظاً ومنحهم القدرة ليشاركوا على قدم المساواة في تشكيل قدر الأمة. وكان لأحد هؤلاء الأفراد قصة أسطورية في حياته. فشهدت حياته وعمله على حقيقة أنه يمكن لشخص واحد أن يغير العالم، شخص واحد بإمكانه إحداث تأثير، شخص واحد يمكنه أن يعطي يداً مساعدة للآخرين، ويكون عاملاً للتغيير، ويمهد الطريق للهند الموجودة في أحلام طاغور.

هذا الرجل هو الدكتور أشيوتا سامنتا.

إشعال جذوة خدمة الإنسانية

كان أشيوتا سامنتا - مؤسس معهد كالينجا للعلوم الإجتماعية ومعهد كالينجا للتكنولوجيا الصناعية - في الرابعة من عمره عندما توفي والده تاركاً إياه ووالدته مع سبع من الإخوة في فقر مدقع ومعاناة كبيرة. وبدلاً من أن يترك نفسه ضحية للاكتئاب، بدأ أشيوتا، منذ الصغر في سن السادسة، العمل مثقلاً كاهله بمسئولية إعانة عائلته.

وضعت هذه النشأة المتواضعة حجر الأساس لمستقبله المهني. ففي ١٩٩٢، خطا أولى خطواته في مجال الخدمة الاجتماعية بهدف وحيد؛ ألا وهو تقديم تعليم عال لأعضاء المجتمع الأقل حظاً اجتماعياً واقتصادياً وعليه توفير الفرص لهم للتحرر من الفقر.

تميزت رحلة الدكتور سامنتا بالقوة والصبر حيث أسس كلاً من معهد كالينجا للتكنولوجيا الصناعية ومعهد كالينجا للعلوم الإجتماعية على أعمدة قوامها القيم الأخلاقية القوية. واليوم، يعد معهد كالينجا للتكنولوجيا الصناعية جامعة عالمية مغايراً لما بدأ عليه كاستثمار قيمته ٥٠٠٠ روبية هندية فقط. كان حلم الدكتور سامنتا آنذاك يقتصر على ألا يصبح الفقر عائقا لتعليم أي شخص. وقد تسارعت جهوده ليخلق جنة على الأرض سماها معهد كالينجا للعلوم الإجتماعية والذي يخدم في يومنا هذا ٢٥٠٠٠ طفل من المجتمعات القبلية المحرومة.

الدكتور سامنتا – أسطورة حية

يوصف الدكتور سامنتا على نطاق واسع بأنه أسطورة حية ليس فقط بسبب رحلته الخارقة للخروج من الفقر وإنما أيضاً بسبب سعيه الحثيث لمساعدة هؤلاء القابعين في قاع الفقر والجهل والإهمال. فقد واجه بشجاعة حقيقية محن الحياة، وأخذ على عاتقه أن يطارد حلماً لتحسين حيوات من هم في قاع الحياة الإقتصادية والإجتماعية من أهل أوديشا القبليين. فقد كان من السهل عليه أن يحتفظ لنفسه بما اكتسبه من إرادة وسمعة وموارد في معترك الحياة، ولكنه بدلاً من ذلك اختار أن يستثمر لصناعة حياة أفضل للفقراء والمطحونين. فهو يعيش في منزل مستأجر، يرتدي ثياباً بسيطة، يطبخ طعامه لنفسه ولا يمل أبداً من وضع ابتسامة معدية توضح سحر الشباب داخله رغم عمره الخمسيني.

تحد الفقر والطفولة المشردة

كافحت والدة الدكتور سامنتا بشدة بعد الوفاة المفاجئة لزوجها والتي تركت عائلتها كلها في فقر مدقع. فلم يكن باستطاعتها أن تقدم لأطفالها أكثر من منزل خرب مسقوف بالقش في القرية التي كانوا يعيشون فيها. ولم تقدم لهم أكثر من عصيدة الأرز والسبانخ كغذاء لأن هذا كل ما كانت تستطيع شراءه بدخلها الشحيح. ومع هذا، لم تثبط مواجهة الفقر في بداية حياته من عزيمته، بل واجه تحديات الحياة بهدوء وثبات وتصميم ليس له مثيل للتغلب على السلبية والتشاؤم اللذان عادة ما يحيطان الأشخاص الذين يغتال القدر أحلامهم. وقد يبدو حلم التعليم للبعض في مثل هذه الظروف ضرب من ضروب الجنون، ولكنه بالضبط ما حدث. فكأن إلهام السماء هو من قاده، تبع سامنتا الأولاد الكبار من القرية في طريقهم للمدرسة. وخضع مدير المدرسة في النهاية لوجوده متفاجئاً بتصميمه على البقاء في الفصل ممهداً بذلك الطريق لرحلة الدكتور سامنتا الأكاديمية من المدرسة الابتدائية للثانوية، ومن المدرسة الثانوية للكلية للجامعة. في النهاية، حصل الدكتور سامنتا على درجة الماجستير في الكيمياء؛ الدرجة التي منحته وظيفة محاضر في كلية في بوبانسوار، عاصمة الولاية الهندية الشرقية أوديشا.

” إن رحلتي من العدم إلى هنا الآن ملهمة ومدهشة في آن معاً “

الدكتور أشيوتا سامنتا

وتتجلى خطة القدر

بدت الحياة مريحة للمحاضر الصغير، إلا أن القدر كانت له خطة أخرى. فقد كانت تجربته مع الفقر في طفولته تحرك داخله رغبة عارمة لعمل شيء للتخفيف عن معاناة أفراد المجتمع الأقل حظاً. وإيماناً منه بأن التعليم يُمكّن الإنسان، بدأ في وضع خطته موضع التنفيذ. وبينما يتابع تعليمه الجامعي في بوري ودراسته العليا في أوتكال في جامعة بوبانسوار، بدأ في زيادة منحته الدراسية الزهيدة بإعطاء دروس خاصة للطلاب. وكان لهذا الفعل البسيط الأثر الكبير في اكتشاف الأخصائي الاجتماعي بداخله. فتطلع قدماً لتمكين الأطفال الصغار قليلي الحظ معدومي الوظيفة الذين لم يستطيعوا النجاح أكاديمياً. في ١٩٩٢، لاحت له الفرصة حيث أخذ كل مدخراته التي تقدر بـ ٥٠٠٠ روبية وبدأ معهداً تدريبياً صناعياً في مبنى من حجرتين في بوبانسوار. ما تلى ذلك لم يكن رحلة عادية بل معجزة حولته إلى أيقونة في المجتمع الأكاديمي.

بذور المشروع

زرعت المحن التي واجهها في بداية حياته بذور حب المغامرة في حين قاده القدر إلى مجال المشاريع التعليمية. في نفس الوقت الذي بدأت فيه المعاهد الأكاديمية في التدهور وعدم القدرة على مواجهة تحديات المجتمع المتغير، أعطى عقل الدكتور سامنتا المتجدد الشرارة لبداية معهد تعليمي أصبح مثالاً يحتذى به. وأصبح معهد كالينجا للتكنولوجيا الصناعية أكبر كتلة تعليمية في مدينة بوبانسوار. ووقفت جامعة معهد كالينجا للتكنولوجيا الصناعية بمساحة كلية تقدر بـ ٧.٥ مليون متر مربع ضامة مبان رائعة لـ ٢٠ حرم مستقل مزود بأحدث التسهيلات.

ميلاد معهد كالينجا للتكنولوجيا الصناعية

كوفئ معهد كالينجا للتكنولوجيا الصناعية على تميزه الأكاديمي من قبل الحكومة الهندية. في ٢٠٠٤، كان المعهد أحد المعاهد الصغيرة في الهند التي حازت على درجة الجامعة في إنجاز ذكره كتاب ليمكا للأرقام القياسية. ويعد معهد كالينجا للتكنولوجيا الصناعية في يومنا هذا واحد من أفضل ١٥ جامعة في الهند وقد حصل على المركز الرابع كجامعة ممولة ذاتياً كما أظهرت الاستطلاعات المستقلة. وقد نمى معهد كالينجا عبر الأعوام ليقدم مجموعة مختلفة من الدورات الدراسية الفنية والمهنية. كانت البداية هي تقديم دورات دراسية في الهندسة وماجستير في تطبيقات الحاسب الآلي وماجستير إدارة الأعمال، إلا أن معهد كالينجا ما لبث - فقط خلال ١٥ عاماً - أن أضاف برامج مثل إدارة الهندسة الريفية والقانون والتكنولوجيا الحيوية والعلوم الطبية والتمريض وعلوم طب الأسنان وتكنولوجيا الموضة وعلوم الإعلام والأفلام والنحت والعلوم الإنسانية واللغات والدراسات الروحية واليوغا. ويسعى أكثر من ١٨٠٠٠ طالب من مختلف أنحاء الهند وخارجها للحصول على مختلف برامج الزمالة لمراحل التخرج وبعد التخرج والدكتوراة وما بعد الدكتوراة. ولا يتميز المعهد بالكفاءة في المعمار فقط بل أيضاً في الحفاظ على جودة التدريس والبحث والاختيار الموفق للخريجين في الحرم الجامعي عبر السنين. وعليه، حازت الجامعة على أعلى الدرجات من مجلس الاعتماد والتقييم القومي في لجنة المنح المتحدة (UGC United Grants Commission) والمجلس الوطني للاعتماد لمجلس الهند National Board of Accreditation of the All India Council for Technical Education (AICTE) وجميعها للتعليم الفني.

جامعة معهد كالينجا للتكنولوجيا الصناعية يفرد جناحيه

انتشر صيت معهد كالينجا للتكنولوجيا الصناعية عبر الهند وإلى جميع أنحاء العالم بصفتها عضواً في رابطة الجامعات والحراك الجامعي في برنامج آسيا والمحيط الهادي والمعهد الدولي للتعليم. ووقعت جامعة معهد كالينجا للتكنولوجيا الصناعية مذكرات تفاهم مع أكثر من ٥٠ جامعة عالمية عريقة وعملت على تقوية شراكتها الأكاديمية مع المعاهد المرموقة. ويحرص جمع غفير من الأكاديميين والعلماء من المعاهد ذائعة الصيت في الهند وخارجها وممثلي المراكز الصناعية والتجارية بالإضافة إلى نجوم الرياضة والأدب والفن على زيارة الحرم الجامعي للتفاعل مع الطلاب. هذا وتقام الندوات والمؤتمرات الوطنية والدولية بانتظام في الجامعة جاذبة العلماء والأكاديميين من جميع أنحاء العالم. وقد استضافت الجامعة مؤتمر العلوم الهندية التاسع والتسعين عام ٢٠١٢ بنجاح.

جامعة معهد كالينجا للتكنولوجيا الصناعية: تأسيس الكفاءة التعليمية

حاز معهد كالينجا للتكنولوجيا الصناعية على شرف استقبال أكاديميين من معاهد مرموقة في حرمه مثل المعاهد الهندية للتكنولوجيا والمعاهد الهندية للإدارة. وكان من ضمن الزوار الآخرين مستشارون ورؤساء جامعات ونواب مستشارين وعمداء من جامعات الهند وخارجها هذا بالإضافة إلى الحائزين على جائزة نوبل وجائزة ماجسايساي ورؤساء الدول وكبار رجال الدولة والصحفيين وموظفي الدولة والعلماء البارزين والفنيين وأعضاء القوات المسلحة والأعضاء البارزين في المجتمع المدني. وقد ساهم كل هؤلاء في رفع مكانة الجامعة إلى مصاف الجامعات العالمية. وقد تحقق هذا التحول الذي شهدته الجامعة من معهد ذو حجرة يضم ١٢ طالباً إلى جامعة عالمية متعددة الأنظمة عن طريق استخدام أحدث الوسائل التكنولوجية وتأصيل علم التدريس والالتزام بالجودة و فوق كل هذا بسبب القدرة الاستثنائية للدكتور سامنتا على تنظيم المشاريع. فلم يكن من الغريب أبداً أن يحوز جائزة التنشئة في التعليم الدولي للشباب ٢٠١٠ (Young EDGE Award 2010) على اعتباره مربي استثنائي. وقد رشح للعديد من المناصب في الهيئات الحكومية الهندية ومن ضمنها لجنة المنح الجامعية (UGC) ومجلس الهند جميعها للتعليم الفني (AICTE).

الأخصائي الاجتماعي المميز

تعد رسالة الدكتور أشيوتا سامنتا مثالاً واضحاً على المشاريع الاجتماعية في أفضل صورها. فقد عمل الدكتور سامنتا والذي يعد أخصائياً اجتماعياً بكل ما تحمله الكلمة من معان على إيجاد حلول مبتكرة لمشاكل المجتمع الملحة. وكانت لديه القدرة على فهم مدى فعالية هذه الحلول ومتى لا يمكن تطبيقها وكيفية إيجاد بديل لها. هذا وكان الدكتور سامنتا عاملاً للتغيير المجتمعي حيث كان يستغل الفرص التي يغفلها الآخرون ويحسن الأنظمة ويخترع الطرق الجديدة ويخلق الحلول للمشاكل المجتمعية. فعوضاً عن رثاء مساعي الحكومة الواهنة والخطط الباهتة للإدارة المدنية كان الدكتور سامنتا يضع نفسه في قلب المدفع لمواجهة المشاكل. فكان تحرير السكان الأصليين القبليين أحد الاهتمامات الرئيسية لولاية أوديشا وعليه بُذلت جهود عديدة لوضعهم داخل المنظومة العامة.

ميلاد معهد كالينجا للعلوم الإجتماعية: المشروع الخيري المذهل

لم يكن معهد كالينجا للتكنولوجيا الصناعية حلم دكتور سامنتا وحده. ففي نفس الوقت الذي كانت تلك الجامعة العالمية تتخذ شكلها على أرض الواقع، كان الدكتور سامنتا قد بدأ بالفعل في وضع خطة لتمكين أطفال القبائل المهمشين والفقراء في الولاية من خلال إيجاد فرص متكافئة لهم. وإيماناً بمبدأ أن "الأمية تولد الفقر والتعليم يستأصل جذوره" أسس الدكتور سامنتا مدرسة صغيرة عام ١٩٩٣. وهكذا تأسس معهد كالينجا للعلوم الإجتماعية بجوار معهد كالينجا للتكنولوجيا الصناعية لتقديم تعليم وسكن مجانيين ومرافق داخلية للطلاب الآتين من القرى. وقد تحولت هذه المدرسة الصغيرة إلى مدرسة قروية سكنية ضخمة توفر التعليم المجاني من مرحلة الروضة إلى مرحلة الدراسات العليا. ويقف هذا الصرح المستقل المزود بأحدث التقنيات منيراً كعلامة بارزة متفردة في العالم ليخدم أكثر من ٢٥٠٠٠ طفل وشاب من أفقر سكان المجتمعات القبلية.

معهد كالينجا للعلوم الإجتماعية: العصا السحرية للتغيير الحقيقي

إن رؤية الدكتور سامنتا تتمثل في توفير تعليم ذي جودة وفرص حقيقية لأفقر الأطفال من سكان المجتمعات القبلية داعماً بذلك تنميتهم الشاملة وموفراً لهم الخبرات الحياتية التي تعيدهم للمنظومة العامة. وقد ساعد الحب والاهتمام أطفال القرى على التألق في مختلف المجالات، من تمثيل الهند في الفعاليات الرياضية العالمية للتفوق في الامتحانات التنافسية المتنوعة، بحيث برهن أطفال القرى على اعتقاد دكتور سامنتا الراسخ بأنهم يمتلكون نفس مستوى - وفي بعض الأحيان مستوى أكثر تفوقاً من - نظرائهم المدنيين عندما تتاح لهم الفرصة. ويتسم أداء الطلاب الأكاديمي بالجودة، فعلى مدار السنين العشر الفائتة كانت نتائج النجاح تصل لـ ١٠٠٪ دون أي رسوب. وقد تفوق الطلاب في الرياضة أيضاً ومن الأمثلة على ذلك رياضة الرجبي التي أظهر طلاب معهد كالينجا للعلوم الإجتماعية شغفاً خاصاً بها. ولا تعد هذه الرياضة شائعة وسط سكان الولاية ولهذا كان اختيار سكان القرى البعيدة لها مفاجئاً. ومما لا شك فيه أن الدكتور سامنتا سيظهر كمدافع قوي عن التعليم في القرى والقبائل وسيتبوأ موقعه كرائد لحقبة جديدة يجد فيها أكثر الأشخاص حرماناً الفرصة للتعبير عن رأيه.

وجهة نظر مختلفة للمستحيل

دخل أبناء معهد كالينجا للعلوم الإجتماعية، المحاطون بالرعاية الشخصية لدكتور سامنتا، التاريخ عندما قاموا بهزيمة فريق جنوب أفريقيا الكبير ١٩-٥ في نهائي بطولة الرجبي والتي أقيمت في لندن عام ٢٠٠٦. وقد أعيد الانتصار في أستراليا عندما فاز الفريق بست مباريات من ثمان. ويعد الفوز بدورات الرجبي على خصوم كبار في أرض أجنبية إنجاز عظيم في حد ذاته. إلا أن سؤال المليون الذي يحير الجميع هو كيف كان حدوث هذا المستحيل ممكناً. وتقع الإجابة في 'تصميم الدكتور سامنتا'، فمع ظروف طفولته الصعبة إلا أنه تجرأ على الحلم، فحلم بعالم يعطي فرصاً متكافئة حتى للأشخاص الذين يعيشون في قاع المجتمع الاقتصادي. وقد يبدو أن الحلم كان مستحيلاً ولكنه ظل عازماً عليه ومثابراً على تحقيقه، فكان تحويل شباب القرى إلى فريق رجبي عالمي منتصر إنجازاً يتطلب العزيمة والإصرار.

اتجاه شمولي لنهضة أبناء القبائل

لقد تجرأ الدكتور سامنتا على تشجيع أبناء القبائل على تجريب رياضة متخصصة كالرجبي. ليس من السهل تخيل معنى أن تكون من سكان قبيلة في أوديشا وهي ولاية لا يتجاوز متوسط دخل الفرد السنوي فيها بضعة آلاف روبية. وفي خضم الكفاح اليومي يعيش أبناء القبيلة ببطون نصف ممتلئة وأجساد نصف عارية في فقر مدقع يأكلون الجذور البرية والدرنات وورق الأشجار والحشرات. فلا يدخل الغذاء والملبس والتعليم ضمن حدود فهمهم، ويتطلب الأمر قدراً كبيراً من القناعة لتستأصل أطفال القبائل من رحم الفقر والحرمان وتعطيهم ضروريات الحياة التي لا يمكن إلا للمال شراءها. وقد كانت هذه القناعة رأس مال الدكتور سامنتا الوحيد عندما بدأ حلمه بخلق عالم مباح للجميع. فلم يقتصر الأمر على توفير تعليم يبدأ من الروضة وحتى الدراسات العليا لهؤلاء الأطفال، بل تعداه ليصل لانتصارات مدوية وزيارات لمختلف أنحاء العالم كعوامل للتغيير.

بداية الرحلة الطويلة

هذه قصة كفاح رجل ضد التيار. فلم يكن من السهل أبداً استئجار مدربين عالميين لتدريب أولاد لم يرتدوا أحذية أبداً ولم يذهبوا خارج أكواخهم في الغابة بل ولم يركبوا على ظهر قطار في حياتهم ناهيك عن طائرة. وقد أثمرت جهود الدكتور سامنتا الشجاعة المضنية نتائج مبهرة، فأنشأ فريقاً عالمياً بمفرده دون أية مساعدة من مسؤولين رياضيين أو دعم مالي، وكانت هذه بداية الرحلة فقط.

معهد كالينجا للعلوم الإجتماعية يجذب انتباه العالم

لقد جذب نجاح معهد كالينجا للعلوم الإجتماعية، والذي أسس لسد فجوة الفرص الإجتماعية والإقتصادية، أنظار المنظمات العالمية. فتشارك منظمات من أمثلة برنامج الأمم المتحدة الإنمائي واليونيسف (منظمة الأمم المتحدة للطفولة) واليونسكو (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة) وصندوق الأمم المتحدة للسكان والحكومة الفدرالية للولايات المتحدة في مشاريع عديدة لمساعدة أطفال القبائل في معهد كالينجا للعلوم الإجتماعية. وقد حرص عدد من رجال الاقتصاد ورؤساء الدول ورؤساء الوزراء والوزراء والحائزين على جائزة نوبل والأخصائيين الإجتماعيين البارزين والدبلوماسيين والسفراء ورجال القضاء العالي من مختلف الدول ومشاهير الإعلام والكثير من المشاهير الآخرين على زيارة معهد كالينجا الذي يساعد بلا شك في تحقيق أهداف الأمم المتحدة التنموية للألفية.

تحية خدمة الإنسانية على المستوى العالمي

من جانب، يبدأ الحلم بعالم خال من الجوع والمعاناة والنزاعات وإراقة الدماء كأية رحلة أخرى بخطوة، حيث تكون النتائج حصيلة للمثابرة على الرؤية والإبقاء على العزيمة في تحقيق الأهداف المرجوة. ولكن موسيقى الانتصار لا تعزف في الخلفية وللأسف تمر معظم الانتصارات المهمة مرور الكرام. ومع وجود بعض الخبرات السطحية التافهة خلال الرحلة تكون بعض الخبرات الأخرى محملة بالألم العميق. إلا أن هذا الطريق في نهاية المطاف ينبئ عن رحلة فريدة من نوعها تحفر في النفس عمقاً وهدفاً وتعطي مؤشراً بأهمية الإبقاء على أية شرارة خيرة أينما كان إطلاقها. فالقلب الحنون لا يكون أبداً متحيزاً أو محدداً بمنطقة. وعليه، فإن الدكتور سامنتا يؤمن بالاعتراف بكل القلوب الخيرة في كل مكان والاحتفاء بها. ففي كل عام، تعترف جائزة الإنسانية من معهد كالينجا للعلوم الإجتماعية المرموق وتحتفي بعمل إنساني متميز. وقد كان من مستلمي الجائزة المتميزين السيدة إدنا بومو موليوا، العاملة الإجتماعية المتميزة ووزيرة البيئة في جنوب أفريقيا، والدكتور هام كي- سن، رئيس ومؤسس جامعة هانسيو في جنوب كوريا، وسعادة السير أنيرود جوجناوث، رئيس دولة موريشيوس، والسيد الشريف نيكولاس أديسون فيليبس، رئيس المحكمة العليا في المملكة المتحدة، والسيد جيغمي ثنلي، رئيس وزراء حكومة بوتان.

”فقد كنت أطارد أحلامي منذ توفي والدي وأنا في الرابعة من العمر“

الدكتور أشيوتا سامنتا

رد الجميل للأم والوطن

إن تأسيس معهد كالينجا للتكنولوجيا الصناعية ومعهد كالينجا للعلوم الإجتماعية ما هو إلا جانب واحد لشخصية الدكتور سامنتا. فقد قادته رغبته العارمة في تحقيق أمنية والدته وشعوره بالواجب تجاه جذوره إلى تحويل قريته البعيدة كالاربانكا إلى قرية نموذجية من خلال توفير جميع المرافق الموجودة في المدن الكبيرة. وقد حفز تنمية وتطوير كالاربانكا على تطوير مجموعة القرى الأخرى حولها (كالاربانكا بانشايات)، الأمر الذي مهد الطريق لها لتكون نموذجاً لمجلس القرى. فأصبحت كالاربانكا مركزاً تعليمياً في المنطقة حيث تضم مدرسة محلية ومدرسة إنجليزية. وأصبحت أولى القرى الهندية التي توفر ١٠٠٪ تأمين صحي لسكانها وتحتوي على وسائل الراحة الحديثة مثل نظام إمداد للمياه الصالحة للشرب ومستشفى تحتوي على ٥٠ سرير للمرضى ومكتب للبريد وخدمات بنكية مزودة بماكينات الصراف الآلي والتليفون وخدمات الإنترنت والمعابد وصالات المناسبات. وتقام المهرجانات كل عام تحت رعاية الدكتور سامنتا للاحتفال بالثقافة والتراث المحلي. ألا يعد هذا إحتفاءً كبيراً بالوطن الأم

دعم الفن والثقافة في أوديشا

لم تهدأ نفس الدكتور سامنتا ذات الأوجه المتعددة وترتكز على شرف تأسيس معهد كالينجا للتكنولوجيا الصناعية ومعهد كالينجا للعلوم الإجتماعية. فهو بعد لم ينس جذوره ولم تفارقه فلسفة احترام الأم والوطن واللغة الأم. ولهذا عمل جاهداً على تطوير ودعم وحماية الأدب والفن والثقافة في أوديشا. في عام ٢٠٠٠، أدى شغفه باللغة والأدب والفن والثقافة إلى تأسيس إذاعة كادامبيني الخاصة التي تصدر مجلة كادامبيني وهي أول مجلة عائلية بلغة الأوديا وكذلك مجلة كونيكاثا وهي أول مجلة أطفال بلغة الأوديا. هذا ولاحظ الدكتور سامنتا أن الأفلام قناة مهمة للتغيير المجتمعي ونشر الوعي وعليه أنتج فيلماً روائياً طويلاً حاز على الجائزة بلغة أوديا وناقش الفيلم معضلة ضحايا الإعصار المدمر.

الرؤية التي حولت مجتمعاً محلياً بأكمله

وصفت مؤسسة الحافة (Edge Foundation) والتي يقع مقرها في الولايات المتحدة الدكتور سامنتا بأنه واحد من أقوى ١٥ شخصاً من أصحاب المشاريع الإجتماعية، حيث قادته موهبته إلى إيجاد حلول مبتكرة لأصعب المشاكل الملحة في المجتمع. وهو يمتلك القدرة على معرفة التغيير المتطلب وتطبيقه على الأجزاء التي لا تعمل في النظام. ومما يدعو للدهشة أن جامعة معهد كالينجا للتكنولوجيا الصناعية تقع فيما كان سابقاً منطقة ترتفع فيها معدلات الجريمة بسبب البطالة. قرر الدكتور سامنتا تغيير المنطقة وهي الآن تزدهر بالمعاهد الصناعية والفنية والمهنية ومجمعات التسوق والمطاعم والبنوك والمؤسسات المالية الأخرى والتي توفر جميعها فرصاً مباشرة وغير مباشرة للعمل لكل فرد قادر جسدياً في المنطقة. ولم يكن هذا التحول الاقتصادي ممكناً دون العقلية الابتكارية والحافز والتفكير النقدي والشغف الذين تمتع بهم الدكتور سامنتا لحل المشاكل الاجتماعية.

قصة الدكتور سامنتا: حياة بسيطة وتفكير عميق

يجد الدكتور سامنتا الرضا الكبير في اتباع أسلوب حياة غاندي. فمع أنه يستطيع العيش مرفهاً، اختار أن يقود حياة بسيطة فلا يعني المال أو الرفاهية شيئاً بالنسبة له. يشهد على ذلك نظامه الغذائي النباتي وملابسه الزهيدة وابتسامته المحببة، الأمور التي من شأنها كتابة المجلدات عنه. وهو يشارك الآخرين آلامهم ويعمل على تغذية قلبه العطوف الحنون، فهو لا يتوق لمنزل أو حساب بنكي مكتظ بالأموال بل يؤمن بأن إعطاء الآخرين هو الرفاهية الأعظم في الحياة. وكان هذا هو السر خلف النمو السريع للمؤسستين التعليمتين العملاقتين ومشاريعه الأخرى. ولهذا كان كفاحه وتضحيته وبساطته أثمن من أي شيء يمكن للمال شراءه. وعن حبه الكبير للإنسانية، فإن اهتمامه بأمراض المجتمع هو ما أكسبه حباً كبيراً داخل البلاد وحول العالم. فتجد المجلات والصحف والمنشورات الإقليمية والوطنية والعالمية تمدحه وتثني على أعماله، واحتل ظهوره مساحة في مجلة التايم والأوتلوك وإنديا توداي وريدرز دايجست وعدد آخر من المنشورات. هذا ومُنح الدكتور سامنتا درجات الدكتوراة والأوسمة المرموقة من جامعات داخل الهند وخارجها ومن كثير من الحكومات.

أشيوتا سامنتا: حفر الطريق لخدمة الإنسانية

إن الدكتور أشيوتا سامنتا رجل بألف حلم. ولكنه لا يحلم بهم في خياله فقط بل يناضل من أجلهم حتى يعطيهم شكلاً ملموساً. فهو يعمل على قضية اجتماعية جديرة بالاهتمام متسلحاً بالإيمان والقناعات اللذين يحركهما الجهد الصحيح، ومن ثم يكون النصر حليفه دون شك. إن أي شخص يفقد والده في الرابعة من عمره ويعيش دون دخل ثابت في وجود البطون الجائعة الكثيرة من حوله يقاد إلى حافة اليأس، ولكن هذه الظروف لم تمنع الدكتور سامنتا من تحقيق المستحيل. وفي رحلته الطويلة من الروضة وحتى ماجستير الكيمياء حفر الدكتور سامنتا بصمته في كل مكان. فيتذكره معلموه كطالب نبيه ويصفه شبوخ قريته بأنه يد العون التي تهدف للمساعدة دائماً ويتذكره الكهنة كإنسان متحمس مخلص يجمع الأزهار للآلهة. وبهذا جمع الدكتور سامنتا البركات والدعوات للمستقبل، الأمر الذي مكنه من إقامة خليط من المؤسسات التعليمية من ضمنها معهد كالينجا للتكنولوجيا الصناعية ومعهد كالينجا للعلوم الإجتماعية اللذان جلبا المجد له ولموطنه أوديشا.

إن رحلتي من العدم إلى هنا الآن ملهمة ومدهشة في آن معاً. فقد ولدت محملاً بعبء الفقر في قرية أوديشا المجهولة (أحد أكثر الولايات تخلفاً في الهند)، ورحلتي إلى ما أنا عليه الآن لا يوجد مثيل لها. فقد كنت أطارد أحلامي منذ توفي والدي وأنا في الرابعة من العمر. انتقدني الأصدقاء والأعداء، لأني من وجهة نظرهم كنت أبحث عن المدينة الفاضلة، ولأني اخترت طريقاً يظهر أحياناً أن حتى الأبطال قد تخاف ولوجه لأنه يعالج فكرة خلق واحة في الصحراء الواسعة. لقد رفضت أن أخضع لقيود الفقر التي فرضت عليَّ. ومبكراً في حياتي، عانيت من الجوع في كل صوره وفي كل منعطف إلا أنني حولت جميع تلك المواقف لصالحي لكي أستطيع أن أخدم أفقر الفقراء. إن الذل المصاحب للفقر لا يزيد الإنسان إلا تواضعاً ولكنه لم يمنعني من إدراك معنىً وهدفاً لحياتي. ولربما كنت على علاقة حب مع القدر الذي وضع خطة محددة لمسار حياتي. لقد بدأ تأسيسي جامعة عالمية مثل جامعة معهد كالينجا للتكنولوجيا الصناعية ومعهد كالينجا للعلوم الإجتماعية - الذي هو ملجأ للأطفال الأقل حظاً في الحياة - بمدخراتي التي كانت تقدر بـ ٥٠٠٠ روبية هندية (١٠٠ دولار أمريكي) في ١٩٩٢.

أنا أتقبل الحياة كما تأتي إليَّ وكل خطوة آخذها تصبح قفزة للأمام. أنا أشعر أنني بالوقوف أمام المحيط الشاسع وكأنني فقط قد قمت بجمع بعض الحصى الصغير ويظل هناك الكثير للعمل. وها هنا أقدم كل ما واجهته في طريقي وأثرى رحلتي من أخصائي إجتماعي إلى "حائز على جائزة عيسى لخدمة الإنسانية"

لقد خاطبت كلمات طاغور أمة كانت على وشك الميلاد. ولقد احتاج الكفاح للحصول على الحرية من الاستعمار أكثر من قالب للحكم؛ احتاج خارطة طريق للنمو والازدهار والوئام المجتمعي. إن قصة ازدهار أمة ما هي في النهاية إلا قصة أفرادها الذين اتحدوا ونحتوا طريقاً للتقدم بنجاح.

إن قصة الدكتور سامنتا تعكس الصحوة الحقيقية التي تحدث عنها طاغور في قصيدته الخالدة. فهي ليست قصة شخص واحد يأخذ خطوة ويُحدث تغييراً؛ بل هي قصة ما يحدث عندما يقرر الإنسان بإخلاص وعزيمة أن يمضي قدماً، تجاه أفق الأفكار والأفعال المتسع، ويتصرف وفقاً لمعتقداته.

إن ما نراه هنا إذاً هو قصة من شأنها أن تلهمنا وتساعدنا على فهم حقيقة أن المثالية محفورة في العمل ومدفوعة بإرادة حديدية بإمكانها أن تغير أمة وتحول العالم الذي نعيش فيه.